المفارقة في التراث النقدي

إعداد:
فادية محمد عبد السلام
طالبة دكتوراه قسم اللغة العربية كلية البنات

إشـــــراف
أ. م. د عزة محمد أبو النجاة **أ. م. د يحي فرغل عبد المحسن**
أستاذ الأدب والنقد الحديث المساعد بالقسم **أستاذ علم اللغة المساعد بالقسم**

أ.م. د بسمة محمد بيومي
أستاذ الأدب والنقد الحديث المساعد بالقسم

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ سيدنا وحبيبنا محمد ـ وعلى آله وصحبه أجمعين ـ خير من نطق بالضاد، وكان كلامه الصدق وفصل الخطاب.

وبعد :

فهذا البحث يتناول موضوع المفارقة في التراث النقدي، وقد تم تقسيمه إلى قسمين: القسم الأوّل تضمن الحديث عن المفارقة في النقد الغربي، أما القسم الثاني فقد جاء الحديث فيه عن المفارقة في النقد العربي بجانبيه القديم والحديث.

فالمفارقة مصطلح غربي لم تعرفه العربية إلا في الفترة الأخيرة، وقد دخل إلى العربية عن طريق الترجمة، وقد أشارت الدراسات الغربية أن أول استخدام له جاء في الحقل الفلسفي،

وعليه فإن دراسة المفارقة في الشعر العربي تُعدّ من الدراسات النقدية والبلاغية الجديدة التي تتعامل مع النص الأدبي لكشف جماليته.

فضلًا عن أنّها من الدراسات الأدبية الحديثة، وآلية من آليات تحليل النص الأدبي؛ إذ تعتمد على الدراسة العميقة للنص، وتقليبه وبيان مستوياته للوصول إلى عمق المعنى الذي أراده صاحبها. بدأت المفارقة مع بداية الخلق عند ما خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ آدم وحواء وسكنا الجنة ثم هبطا منها؛ وذلك لمخالفتهما أمر الله ـ تعالى ـ وطاعة الشيطان عندما أكلا من الشجرة التي حرّمها الله عليهما، فجاءت المفارقة الأولى بين (الطاعة والمعصية).

ويُعدّ سقراط صانع المفارقة الأوّل كما ذكرت لنا كتب دي سي ميويك؛ ولذلك ارتبطت بالفلسفة اليونانية، وذلك من خلال محاوراته مع الآخرين، محاولًا الوصول إلى عمق النفس البشرية ومعرفة خفاياها وما تكنه من أسرار؛ إذ إنَّ الإنسان مليء بالتناقضات؛ ولذلك فإن مقولة سقراط ((اعرف نفسك)) كانت الأساس الأوّل لعالم المفارقة.

كانت هذه العبارة تعتمد على المراوغة والتلاعب اللفظي، وهي عنده شكل من أشكال البلاغة ويندرج تحتها المدح في صيغة الذم، والذم في صيغة المدح [1]

ومع مرور الوقت تطور مصطلح المفارقة، فقد كان في بداية الأمر طريقة جدلية في معاملة الخَصْم وذلك عند فلاسفة اليونان، ثم أصبح محلًا للنقاش والجدل؛ وذلك لاعتماده على المراوغة والخداع للغة.

وقد كثرت تعريفاتها ومفاهيمها قديمًا وحديثًا؛ نظرًا لاختلاف الحقول الفلسفية أو النقدية أو البلاغية أو اللغوية التي تناولتها وما جاء عن علماء الغرب، ومن أجل ذلك فإننا لا نستطيع أن نجعل لها تعريفًا محدّدًا ودقيقًا .

وفي بلاغتنا العربية ما يُفضي إلى معناها؛ كالحديث عن (مقتضى الظاهر، وغير مقتضى الظاهر والمعنى القريب والبعيد والمدح بما يشبه الذم، والمخالفة بين المنطوق والمفهوم والاستعارة والكناية والتعريض وتجاهل العارف والتورية). تلك المصطلحات التي وُجدت عندنا قبل معرفتنا بالمفارقة.

وعلى هذا الأساس فإنه يمكن القول إن المفارقة تعتمد على ازدواج المعنى، ووجود مستويين في التعبير الواحد، المستوى السطحي للنص، والمستوى الخفي الذي يُجْهِدُ المتلقي نفسه فيه ليصل إلى اكتشافه.

وقد جاء منهج الدراسة منهجًا استقرائيًّا وصفيًا، حيث تتبع هذه الظاهرة في التراثين الغربي والعربي ووصفها، مستعينة ببعض النماذج الشعرية وتحليلها لنرى كيف أنها ماثلت المفارقة.

أوّلاً:المفارقة في التراث الغربي

المفارقة مصطلح غربي لم تعرفه العربية، ولم يدخل دراستها إلا من فترة قصيرة عبر الترجمة والحقيقة إن هذا المصطلح سبَّب جدلًا واسعًا في الغرب، فهو مصطلح غامض يثير الالتباس، فإذا كان(ما لا تاريخ له يمكن تعريفه)على حد تعبير نيتشه، فإن مسألة إيجاد تعريف محدد لهذا المصطلح المراوغ، العصي على الفهم، يعد مسألة صعبةً جدًا نظرًا لتاريخه الطويل المتشعب.

---

[1] ينظر المفارقة وصفاتها (موسوعة المصطلح النقدي) دي سي ميويك ، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة ، دار المأمون للترجمة والنشر بغداد ، العراق، ط2 ، 1987 ،ص29

فقد اعتنى النقد الغربي بالمفارقة عناية كبيرة: إذْ أصبحت جزءًا مهمًّا من دراساته، وكانت نتيجة هذه العناية أن قدّم لنا تعريفات كثيرة يصعب حصرها، منها ما جاء في صورة معقدة، ومنها ما جاء في

صورة مبسطة[2] ونتيجة لكثرة تعريفاتها يقول شليجل: ((أية آلهة سوف تنقذنا من جميع هذه المفارقات))[3]
وقد شبه ميويك مفهوم المفارقة ((بسفينة أُلْقِيَتْ مراسيها، لكن الرياح والتيارات وهي قوي متغيرة ودائمة، تسحبها رويدًا عن مراسيها))[4]
وكأن ميويك أراد أن يقول: إن السفينة تكسرت وتحطمت ، فتقاسم أجزاءها الفلاسفةُ، والنقادُ، والبلاغيون ونتيجة لذلك ظهر مفهوم المفارقة في شتى حقول المعرفة بدلالات ومفاهيم متفاوتة وإعطائها أبعادًا جديدة مخالفة للتوقع، لا تمت بصلة إلى المعهود، وإنما كانت أكثر بعدًا وأعمق نظرًا. وعلى أية حال فإننا سنقوم بعرض جملة من التعريفات عند علماء الغرب تمثل مفهوم المفارقة في مختلف الحقول التي ظهرت فيها ولنبدأ بعرضها عند الفلاسفة ؛لأن مهدها الأوّل كان عندهم :

أوّلًا ـ المفارقة عند الفلاسفة :

شليجل:

من الفلاسفة الأوئل الذين كان لهم شأن في إرساء أسس المفارقة وتحديد معناها، لقد نظر شليجل إلى المفارقة من أكثر من زاوية، ولذلك تعددت تعريفاتها عنده فهي ((شكل من النقيضة وهي إدراك لحقيقة أن العالم في جوهره ينطوي على تناقض، وهي الصراع بين المطلق والنسبي))[5]

زولجر solger :

من الرومانسيين الألمان الذين كان لهم شأن في ما يعرف بالمفارقة الرومانسية، وقد كان له إسهامات لا تقل شأنًا من إسهامات شليجل، كانت نظرة زولجر للمفارقة مغايرة لما رأينا عند شليجل، فهي تعني عنده ((طبيعة الفن ، تشكل معناه الأقصى))[6]
لقد جاء تعريف زولجر للمفارقة من خلال شعوره العميق للتناقض ورأى أن المفارقة والفن شيئان متلازمان كالجسد والروح ، فقد حصر مفهوم المفارقة في الفن ، ولا قيمة للفن إن لم يتسم بالمفارقة فالمفارقة على حد قوله: ((تبدأ بتأمل مصير العالم على نحو متسع))[7] فالأفكار التي جاء بها زولجر في تحديد مصطلح المفارقة نجدها تنصبُ حول أهميتها ، فقد عدّها الأساس لكل فن .

كيركيجارد Kierkegaard

اتجه اهتمام كير كيجارد بالمفارقة من خلال آرائه التي بثها في كتابه مفهوم المفارقة عام 1841 لقد ظهر كير كيجارد بصورة رئيسة في مفهومه عن المفارقة إلى ما يدعوه بـ (الطورين الجمالي والأخلاقي من التطور الروحي)، ويرى أن من يمتلك مفارقة جوهرية، فإنه يمتلكها طوال النهار فهو لا يتصف بالمفارقة بين وقت وآخر ، بل إنه يعتقد أن الوجود كله يقع في باب المفارقة، ولا يتخذ المفارقة وسيلة كي ينال إعجاب الآخرين لأنه من أصحابها [8]، يتفق كير كيجارد وشليجل في نظرتهما للمفارقة من أن المرء كلما حاول أن يجد تفسيرًا لتعقيدات الحياة وظن أنه وصل، وجد أن هذه التعقيدات مازالت بحاجةٍ إلى تفسير، وعلى هذا يمكن القول إن تفسير هذه التعقيدات أمرٌ يكاد يكون مستحيلًا .
لقد ظهرت ملامح هذه الظاهرة في الحقل الفلسفيّ بشكلٍ واضحٍ وجلي، واتجه الدارسون نحوها بالعناية والاهتمام حتى أنها وردت في معاجم مصطلحات الفلسفة في العصر الحديث، فقد حددها بعضهم بقوله:

---

(2) ينظر مفهوم المفارقة في النقد الغربي، نجاة علي، مجلة فصول، العدد الثالث والخمسون، 2009 ، ص1 .
(3) المفارقة وصفاتها، دي سي ميويك، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، ص40 .
(4) نفسه، ص19.
(5) تاريخ النقد الأدبي الحديث ، رينيه ويلك ، المجلد الثاني (العصر الرومانسي) ترجمة مجاهد عبد المنعم ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1999 ، ص33
(6) نفسه ، ص 586
(7) نفسه ، ص 587
(8) ينظر المفارقة وصفاتها ، ميويك ، ص41

((ما يضاد الرأي الشائع، وقد تستعمل للزراية، أي عكس المتوقع))[9] وعرّفها آخر على أنها((الرأي الغريب الذي لا يعتقده صاحبه، ولكنه يدافع عنه أمام الناس لحملهم على الإعجاب به))[10] يتفق التعريفان على أن المفارقة تقوم على التناقض والاختلاف بين مستويين أحدهما ظاهر والآخر خفي، هذا المعنى الخفي هو المعنى الذي أراد صاحب المفارقة أن يستشفه المتلقي وإن لم يتمكن المتلقي من استنباطه عندها سيقع في حيز الضحية .

ثانيًا ـ المفارقة عند النقاد:

اتجهت جهود النقاد نحو هذه الظاهرة وكانت نتيجة هذه الجهود أن قدموا لها تعريفات كثيرة، يصعب على الباحث حصرها، وسنورد هنا بعضًا منها.

يرى تومبسن Tompson ((أن المفارقة لا تتحقق في الأدب إلا عند ما يكون الأثر الناتج عندها مزيجًا من الألم والتسلية))[11] .

وهي عند صموئيل جونسون Samuel Gohnson ((وسيلة من وسائل التعبير يناقض فيها المعنى الكلمات))[12]، ويرى كلينث بروكس Clent. Brooks أن المفارقة هي :

((أكثر المصطلحات شمولية بين أيدينا لوصف التعديل الذي تتلقاه العناصر المختلفة داخل السياق)) [13] .

وعند فلور Flower ((طريقة من طرق التعبير، تطلب من المتلقي ازدواجية الاستماع، وعلى المتلقي أن يدرك أن هذا التعبير يرمز إلى معنى آخر، ولا يمكن أن يؤخذ على قيمته السطحية))[14] .

هذا قليلٌ من كثير من جملة تعريفات أوردها الغرب، ونلاحظ على أصحاب هذه التعريفات أن نظرتهم لم تكنٍ واحدة، إلا أنها تكاد تتفق على التضاد، الذي هو أساس المفارقة، فقد تراوحت بين التبسيط والغموض.

ثالثًا ـ المفارقة عند البلاغيين :

وأخيرًا نحط الرِّحال عند البلاغيين لنرى كيف تناولوا هذا المصطلح، وهل اختلفوا أم اتفقوا مع الفلاسفة والنقاد، فهده الظاهرة لم تقتصر على الفلاسفة والنقاد فحسب؛ وإنما تجاوزتها إلى البلاغيين، فقد نظروا إليها على أنها أسلوب بلاغي.

فهي عند ماكس بيربوم Max Beerbaum ((إحداث أبلغ الأثر بأقلّ الوسائل تبذيرًا))[15]

إن تعريف ماكس بيروم ينص على مبدأ الاقتصاد؛ وذلك حينما رأى أن استخدام المفارقة ينبغي أن يكون بأقل الوسائل .

أما كولردج Coleridge فعّرفها بقوله: ((تتجلى في توازن الأفكار المتعارضة والمتنابذة بين التماثل والتباين، بين المطلق والمقيد، بين الفكرة والصورة، بين الشخص وبدله، بين حالة عاطفية خارجة على المألوف وبين انضباط تام))[16]

لقد وضع صاحب هذا التعريف يده على أساس مهم من أسس المفارقة وهو التناقض.

وتعرض ماريك فينلي تعريفًا للبلاغيين وتحددها في ثلاث نقاط أساسية :

1 ـ ((الباث Emitter يقول شيئًا ، بينما هو يعني شيئًا آخر .

2 ـ الباث يقول شيئًا ، بينما شيء آخر يفهمه المتلقي Receiver .

3 ـ الباث يقول شيئًا ، بينما يقول في الوقت نفسه شيئًا آخر))[17]

---

[9] المعجم الفلسفي ، مراد وهبة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، دون تاريخ ، ص 656

[10] المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية ، جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، د . ت ، ج2 . ص 402

[11] A . R . Thompson , The Dry Mock , Astudy of Irony In Drama ,Berkely,1948 p . 15

[12] D , J . Enright , the Alluring problem ,Oxford University press,1986 p .5

[13] A. R . Thompson , The Dry Mock , Astudy of Irony in Drama , p . 15
نقلًا عن بناء المفارقة في المسرحية الشعرية ، سعيد شوقي ، ص 26 .

[14] Flower , H ,W A Dictionary oF Modern English usage oxford , 1926 , p 295
نقلًا عن المفارقة القرآنية ، د . محمد العبد ، ص13 - 14 .

[15] المفارقة وصفاتها ، دى سي ميويك ، ص 63

[16] لغة المفارقة ، كلينث بروكس ، ترجمة : محمد منصور ، مجلة الدار ، العدد 2 ، الرياض ، ص 186

إننا نجانب الصواب إذا قلنا إن تعريف مارك فنيلي للمفارقة يعد تعريفًا صائبًا ذلك إنها وضعت يدها على أساس مهم من أسس المفارقة وهو ازدواج المعنى القائم على الضدية.
إن التعبير بأسلوب المفارقة أمرٌ يحتاج إلى تركيز وحضور ذهني؛ وذلك لأن التعامل معه أشبه ما يكون بجمع شيء مشتت جلّه مشاهد ومرئي، لكننا عندما نحاول الإمساك به نجده قد تحول إلى شيء آخر مناقض، ذلك أنه أخذ سمة التحوّل وعلى هذا فإن تفسير هذا الشتات أمر يعد أقل صعوبةً من الإمساك به.
وعلى هذا فإن رسالة المفارقة إذا لم يتم تفسيرها بشكلٍ صحيحٍ فإنها عند ئد ستكون أشبه ببيدٍ واحدةٍ تصفق كما أشار ميويك.
فلم تعد المفارقة مجرد وسيلة للتعبير، وإنما منهج له كل مواصفات المنهج العلمي، ولا غرو فهو يفوق المناهج الأخرى، ذلك أن جذوره موغلة في القدم ، أضف إلى ذلك نجاحه في إيصال هدف الكاتب بطريقة قد لا تستطيع المباشرة إيصالها .
ولا شك أن هذا يزيد من أهمية المصطلح ويدفع بالباحث إلى الأخذ به وممارسته، ذلك أنه يعطي أبعادًا غير متوقعة تختلف عن معناه الظاهر، وبذلك يشكل نوعًا من المتعة عند المتلقي .
ومن خلال هذا العرض يستخلص الباحثُ وجودَ عناصر يراها مشتركة ، فهذه التعريفات لا تختلف كثيرًا عمّا ورد في التعريفات السابقة بمختلف الحقول التي وردت فيها المفارقة، وهي الكاتب والرسالة والمتلقي، ولا شك أن هذه العناصر الثلاثة مشتركة في أي عمل أدبي، إلا أنها تختلف من زاوية المعنى، من حيث الرسالة والمتلقي .
فالرسالة يوحي باطنها بعكس ظاهرها فتحتاج إلى عدة تفسيرات لكشف محتواها، أما بالنسبة للمتلقي فنرى أن قُراء المفارقة ليسوا على درجة واحدة من الفهم، فإن لم يكتشف القارئ رسالة الكاتب فإنه يقع ضحيتها.
ولذا فإن المعاني التي تؤديها رسالة المفارقة تخالف مدلولها الأصلي، وأن هذه المعاني المخالفة لمدلولها الأصلي هي هدف الكاتب، ثم يأتي دور المتلقي الذي بواسطته تتحقق رسالة المفارقة إن تمكن من كشف خفاياها .
ولكثافة المعاني والدلالات التي تعطيها المفارقة كونها مصطلحًا ذا أبعادٍ عميقة، فإنها ظلت تأخذ معاني جديدة كما يرى ميويك بحيث جرى عليها تحولات جذرية؛ حتى غدا من الممكن النظر إلى العالم بما يموج فيه من متناقضات على أنَّه مسرح ذو مفارقات شتى .

ثانيًا: المفارقة في التراث النقدي العربي:

أولًا : المفارقة عند نقادنا العرب القدامى:

خلا ميراثنا العربي من مصطلح المفارقة لفظًا ، لكنه مع ذلك لم يخل منها مفهومًا ، فصور المفارقة عديدة في البلاغة العربية ،ومتعددة لاسيما في الجانب البديعي منها، ((لقد عرف العرب هذا النمط الأسلوبي في لغتها، فعرفت أشكالًا للمفارقة؛ من أبرزها: المدح بما يشبه الذم، أو الذم بما يشبه المدح ، وتجاهل العارف، والمتشابهات والتعريض. إضافة إلى بعض الأقوال التي يقصد بها التهكم أو السخرية، وما يشبهها من فنون البيان، ولطائف القول، والتي تأتت لهم نتيجة تلاعب الأديب باللغة، ولكون الحس بالمفارقة حسًا أصيلًا لدى الإنسان، إضافة لما اتصفت به اللغة العربية من البيان والشمولية والاتساع))[18].
ولا شك في وجود هذا المفهوم عند نقادنا القدامى وأن وعيهم به وإدراكهم له قد تجاوز حدود وضعه في صورة سطحية والدليل على ذلك ما سنعرضه من مصطلحات تمثل جزءًا كبيرًا من دلالة المصطلح وإنما تعداها إلى وضعها في صورة المفارقة .

---

(17) Marik Finlay ; The R0mantic Trony oF semiotics , Mouton do Gruyter Berlin ard new York 1988 ,p 17

(18) المفارقة في كافوريات المتنبي، قراءة في نصوص مختارة ، أمل نصير ، مجلة أبحاث اليرموك (سلسلة الأدب واللغويات) ، المجلد 15 ، العدد2 ، جامعة اليرموك ، الأردن ، 1997 م ، ص13

والشواهد على ذلك كثيرة، ولعل من أبرزها ما نجده عند أبي الطيب المتنبي الشاعر المتميز، صاحب العبقرية الفذة من مفارقات أدهشت قائلها قبل قارئها يقول :

ومِنْ شَـرَفِ الإقـدامِ أَنَّـكَ فِيهُمُ
عَلى الـقَـتْـلِ مَـوْمُـوقٌ كَأنَّـكَ شَاكِدُ
وأنَّ دَمًـا أجـريْتَهُ بِـكَ فَاخِـرٌ
وأَنَّ فُـــؤَادًا رُعْـتَـهُ لَكَ حَـــامِدُ[19]

لاشك أن هذين البيتين ينطقان بالمفارقة ويدلان عليها، المفارقة في البيتين تعبر عن غرابة الموقف وتبدل الحال؛ فالحديث جاء في معرض المدح، وذلك عندما مدح المتنبي سيف الدولة قوته وشجاعته عندما غزا الروم وحقق انتصارًا يُذكر.

وقد اعتمدت المفارقة على الصور البيانية من التشبيه في البيت الأول والاستعارة في البيت الثاني.

ففي البيت الأول نرى حب أهل المقتول للقاتل، وهذا ما لا يمكن حدوثه؛ إذ كيف يمكن أن يكون القاتل محبوبًا عند أهل المقتول؟، وقد أثرى المفارقة التشبيه ، المتمثل في قوله (كأنّك شاكد)، فقتله للمقتول كان بمثابة العطية لأهله ـ وهم الروم ـ .

وتمتد المفارقة لتسيطر على البيت الثاني وذلك حينما جسد الدم والقلب؛ إذ يعلن الشاعر أن الدم الذي يجريه سيف الدوله من أعدائه يشعر بالفخر والاعتزاز؛ وذلك أن سيف الدولة سبب جريانه، وأن القلب الذي أراعه يكون له شاكرًا .

المفارقة عبرت عن مكانة سيف الدولة عند الناس وأنه محبوب لديهم وإن خالفت الواقع مخالفة شديدة.

وشواهد المفارقة في شعرنا العربي كثيرة تعج بها كتب الأدب ودواوين الشعراء وورود هذه الكلمة في اللغة محصور في معنى الاختلاف والافتراق، إلا أن صورة اللفظة لم تكن بهذا الشكل ((فلم ترد في القرآن الكريم بهذه الصيغة وقد تتبعنا ورودها في (البيان والتبيين) على سبيل المثال فلم نجد لها ذكرًا، وكذلك لم نجدها في مصادر الأدب المهة؛ مثل (العمدة) لابن رشيق ،و(المثل السائر) لابن الأثير، و (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجني، كذلك تتبعنا وجودها في المعاجم الحديثة التي جمعت المصطلح النقديَّ والبلاغيَّ والأدبيَّ والفلسفيَّ في التراث العربيَّ، مثل معجم النقد العربي القديم لأحمد مطلوب؛ فلم نجد لها ذكرًا بين المصطلحات التي تضمنها المعجم))[20] وأتفق مع د. خالد سليمان الذي رأى أن عدم شيوع هذه اللفظة في التراث العربي لا يعني عدم وجود ألفاظ أخرى ، كانت تقوم مقامها ، بشكل أو بآخر[21] ، وتحمل معناها،وإن كان هذا المعنى ليس بالشكل الذي عليه الآن

وتجدر الإشارة إلى أنني عندما كنت أبحث عن المصطلحات العربية التي تماثل مصطلح المفارقة ، كنت أعتقد أن هناك من بينها ما يحمل كامل دلالة المصطلح، لكنني لم أجد ذلك وقد أشار إلى هذه النتيجة بعضٌ من النقاد ، وربما شمل تراثنا العربي الوفير مصطلحات أخرى غير التي ذكرت، تمثل جانبًا من جوانب المفارقة دون أن تمثِّلها .

وفيما يلي عرض لتلك المصطلحات مع ذكر بعض الشواهد الشعرية التي تمثلها وسنرى من خلالها كيف أنها شبيهة بالمفارقة.

تجاهل العارف :

((الجهل نقيض العلم، وقد جهل فلان جهلًا وجهالة، وجهل عليه وتجاهل: أظهر الجهل، وتجاهل: أرى من نفسه الجهل وليس به))[22]

---

[19] ديوان المتنبي ، شرح أبي البقاء العكبري ، المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1981 م ج1 ، ص276

[20] المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق ، خالد سليمان ،دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان، الأردن 1999 ، ص22

[21] المرجع السابق ، ص 22

[22] لسان العرب ، لابن منظور،تحقيق: عبدالله الكبير وآخرين ، دار المعارف، 1979 مادة (جهل)

وعرَّفه العسكري بقوله :((إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيدًا))[23] وكأنَّ العسكري يشير إلى أن هناك صانعًا للمفارقة، وهذا الصانع لم يكن جاهلًا بما يقول، وإنما يظهر جهله بشكل يجعل المتلقي يصدق ما يقرأ، هذا التجاهل يؤدي إلى ظهور ضحية للمفارقة، التي تتمثل في القارئ الساذج الذي يفهم ظاهر المعنى دون أن يصل إلى المقصود الحقيقي للمعنى.

وأمثلته كثيرة ومتعددة في نتاج شعرائنا يقول زهير بن أبي سُلمى :

وَمَـا أَدْرِي وسَـوْفَ إِخالُ أَدْرِي

أَقَـوْمٌ آلُ حِصْـنٍ أَمْ نِـسَـاءُ؟ [24]

علَّق ابن رشيق على هذا البيت فقال: ((فقد أظهر أنه لم يعلم أنهم رجال أم نساء، وهذا أملح من أن يقول: هم نساء، وأقرب إلى التصديق))[25]

ومنه قول الشاعر :

بـالله يـا ظـبْـياتُ الـقاعِ قُـلْـنَ لـنَـا

ليْلايَ مِـنْـكُـنَّ أم ليلى مِنَ البشر[26]

فالشاعر يعلم أن محبوبته من البشر لكنه أظهر تجاهله بذلك ، ليحقق هدفه من لفت الأنظار إلى جمال الحبيبة التي وصلت إلى رشاقة الظبيات حتى أنه بات لا يميزها منهنّ .

إن الأمثلة المذكورة أظهرت أن الشاعر كان على يقين بما يقول، لكنه أظهر تجاهله ليصل إلى غايته.

الكناية:

من أشهر الأساليب البلاغية التي استخدمها العرب في أدبهم، فتفننوا فيها وأبدعوا في صياغتها، جاء في لسان العرب((الكناية: أن تتكلَّم بشيء وتريد غيره، وكنّى عن الأمر بغيره يكنى كناية: يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه نحو الرفث والغائط ونحوه. وقد تكنى وتحجى أي تستر، من كنى عنه إذا ورّي أو من الكنية، كأنه ذكر كنيته عند الحرب ليعرف، وهو من شعار المبارزين في الحرب، وكنية فلان أبو فلان))[27]

وقد تناولها الأدباء في كتاباتهم، فهي عند قدامة بن جعفر تسمى الإرداف، ((وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى ردفه وتابع له، فإن دل على التابع أبان عن المتبوع))[28]

وهي على هذا الأساس انتقال الأديب من المستوى الظاهر إلى المستوى الخفي.

والأمثلة كثيرة من هذا الفن في أدبنا العربي منها ما جاء عند امرئ القيس[29] بقوله:

وتُـضْحَى فتيتُ الـمسك فوقَ فِراشها

نؤومُ الـضُّحـى لم تـنتطق عن تـفَضُّلِ

لم يصرح الشاعر بالمعنى الحقيقي؛ وهو تَرَفُ المرأة، وأن لها من يخدمها ويكفيها، فقال (نؤوم الضحى) .

ومنها قول الشاعر[30] :

بـعيدةُ مهوى الـقرطِ إمّا لـنوفلٍ

أبـوهـا وإمّا عَـبـد شَـمـسٍ فهاشِم

---

[23] الصناعتين (الكتابة والشعر) الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق : مفيد قميحة ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 1984 ، ص 445

[24] ديوان زهير بن أبي سلمي ، شرح : أحمد بن يحي ثعلب ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ط 3 ، 2003 ، ص 73

[25] العمدة، لابن رشيق ،تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل ، بيروت، ط5 ، 1981 ، ص 66

[26] ديوان قيس بن الملوح ، دارسة وتعليق يسرى عبد الغني ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتاب العلمية ، بيروت لبنان ، ص 75

[27] لسان العرب، ابن منظور ، مادة كنى

[28] نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفي، مكتبة الخانجي، مصر ، ط 3 ، 1978 ، ص 155 – 156

[29] ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، ط 5 ، 2004 ، ص 161

[30] ديوان عمر بن أبي ربيعة، قدم له وضبطه وشرحه : د . فايز محمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2 ، 1996 ، ص 314

فلقد أراد الشاعر أن يصف طول الجيد فلجأ إلى استخدام المفارقة؛ إذ لم يذكر ذلك صراحةً؛ وإنما أتى بشيءٍ تابع لطول الجيد، وهو(مهوى القرط)، فمن خلال الأمثلة يتبين أن أسلوب الكناية يقوم على الإخفاء وعدم التصريح ، وهذا الأساس يقترب من مفهوم ميويك للمفارقة ((المفارقة قول شيء دون قول حقيقته))[31]، وعليه يمكننا القول إن العربي صاغ الكناية بطريقة المفارقة بمهارة عالية، وذكاء متميز جعل القارئ يرفض المعنى الظاهر ليصل إلى المعنى الباطن وهذا صلب المفارقة .

التورية :

لغةً ((ورّيتُ الشيَء وواريته: أخفيته. وتوارى: استتر، وورّيتُ الخبر جعلته ورائي وسترته، وواريتُ الخبر أورَيتَه تورية إذا سترته وأظهرت غيره، كأنه مأخوذ من وراء الإنسان؛ لأنه إذا قال وريتَه فكأنه يجعله وراءه حيث لا يظهر، وورّيتُ عنه: أردته وأظهرت غيره))[32]

عرّفها محمد الجرجاني فقال: ((أن يراد من لفظ له معنيان: أبعدهما. إما لقرينة عقلية، أو لقرينة لفظية))[33]

ومن شواهد هذا الأسلوب قول النابغة الذبياني:

خَـيْلٌ صِيامٌ وخيلٌ غـيرُ صائمة
تحت العَجَاجِ وخـيلٌ تَعلك اللُّجما [34]

والمقصود من كلمة الصيام في هذا البيت وقوف الخيل، فلفظة (الصيام) حققت دلالتين ،متعارضتين، وهذا جوهر المفارقة فالمعنى الظاهر للفظة (صيام) المعنى المعروف لنا جميعًا وهو الإمساك عن جميع الشهوات، ولكن هذا ليس مقصودَ الشاعر الحقيقيَّ، الذي هو المعنى القريب، أما المعنى البعيد الذي عناه الشاعر للفظة الصيام هو عدم الجري عن الخيل؛ لأن الشاعر يتحدث عن الخيل والصيام فصيام الإنسان هو الإمساك عن المحرمات بينما صيام الخيل هو عدم الجري؛ لأن الحديث جاء في معرض النزال .

التهكم :

لغة من هكم ((تهكم على الأمرِ وتهكَّم بنا : زَري علينا وعَبثَ بنا والتهكمُّ : والمتهكِّمُ : المتكبِّرُ، وتهكم عليه إذا اشتد غضبهُ وتهَكَّمَت البئرُ : تهدَّمَت . وتهكَّمْتُ : تَغَنَّيْتُ ، والتَّهكُّم : الاستهزاء، وفي حديث أسامة : فخرجت في أثر رجل جعل يتهكم بي؛ أي يستهزئ ويستخف))[35].

والتهكم ((الاستهزاء بالمخاطب))[36]، وعرفه الحموي في خزانته((الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار، والوعد في مكان الوعيد، والمدح في معرض الاستهزاء))[37]، وقد ورد في القران الكريم ((فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ))[38]. ومن المعروف أن البُشرى تكون في مواطن السرور والفرح، ولكننا نجدها هنا خلاف ذلك؛ إذ كيف تكون البشرى بالعذاب وهو أمر محزن؟!.

ومنه قول امرئ القيس[39]:

فَـأنْشَـبَ أظْـــــفَارَهُ فـي الــنَّـسَــا
فــقــلــتُ هــبــلــتَ ألاْ تــنــتصرْ!

توقف ابن أبي الإصبع عند قول امرئ القيس: ((فإن قوله للثور هبلت ألا تنتصر من التهكم اللطيف))[40] ،فهذا الفن البلاغي يعتمد على تغيير المعنى وقلب دلالته إلى الضد ذلك أن التهكم يوحي بشيء لكن في الوقت نفسه

---

[31] D . C Mueck ; the compass of Irony ,Methuen, London and New York, 1980 p 8

[32] لسان العرب ، ابن منظور مادة (وري)

[33] الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، محمد علي الجرجاني ، تحقيق : عبد القادر حسين ، دار النهضة مصر ، القاهرة ، ص 183

[34] ديوان النابغة الذبياني ، شرح : عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 3 ، 1996 ، ص 161

[35] لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (هكم)

[36] البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تحقيق: يوسف عبد الرحمن وآخرين ، دار المعرفة ، بيروت ، ط 2 ، 1994 ، ج2 ، ص359

[37] خزانة الأدب ونهاية الأرب ، ابن حجة الحموي ، دار القاموس الحديث ، بيروت ، د .ت ، ص 68

[38] سورة آل عمران ، الآية 21

[39] ديوانه ، ص 161

[40] تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري ، تحقيق : حنفي محمد ، القاهرة ، 1983 ص89

يقصد ضده تمامًا وهذا الضد يحتم على ((المتلقي أن يصل إليه حين يرفض ظاهر الكلام مما يترتب على ذلك البحث عن المراد في باطن الكلام))[41] .

المدح بما يشبه الذم

عرف هذا الفن في الأدب العربي منذ القدم؛ لأنه ورد في أشعارهم، وشواهده كثيرة أملتها على الشعراء طبيعة الحياة، ويعد ابن المعتز أول من أشار إليه على حد تعبير ابن معصوم المدني، الذي تحدث عنه تحت عنوان (المدح في معرض الذم) إذ قال: ((هذا النوع من مستخرجات ابن المعتز، وسماه قوم: تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وآخرون النفي والجحود))[42] ويتضح لنا ذلك جليًّا من خلال النظر في بيت النابغة الذبياني الذي أورده ابن المعتز:

ولا عَـيـبَ فِيهم غَـيـرَ أنَّ سُيوفَهم
بِـهـنَّ فُلولٌ مِن قِـراعِ الـكَـتـائِـبِ[43]

فبالنظرة المتأنية في بنية هذا البيت؛ نجد أن الشاعر بدأ بيته مادحًا جيشَ الغساسنة بصفة ذم منفية دالة على المدح(ولا عيب فيهم)، ثم أتى بأداة الاستثناء التي توهم المتلقي بأن ما بعدها سيكون عيبًا لا محالة، وإذا به يفاجأ بأن ما بعد الاستثناء يأتي مدحًا لا ذمًا؛ إذ تأتي جملة (بهن فلول من قراع الكتائب) لتؤكد صفة المدح لجيش الغساسنة ، إذ يوضح الشاعر أن فلول سيوفهم بسبب كثرة المعارك وقتل الأعداء، وهذا يدل على الشجاعة[44].

الذم بما يشبه المدح :

من العنوان أن هذا الأسلوب مناقض لسابقه ، وهو المدح بما يشبه الذم ومغايرٌ له تمامًا، إذْ يقصد صاحبه من الأسلوب السابق المدح بطريقة غير متوقعة ومباشرة، أو بعبارة أدق مخالفة للمعهود والمتعارف عليه تؤكد المدح، في حين أن هذا الأسلوب يؤكد على الذم بنفس الطريقة، فالطريقة واحدة لكن الهدف يختلف، وقد قُسم كسابقه إلى قسمين: الأوّل: ((أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها، كقولك: فلان لاخَيْر فيه إنه يسئ إلى من أحسن إليه. والثاني: أن تثبت للشئ صفة ذم وتعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى كقولك فلان فاسق إلا أنه جاهل))[45] .

من ذلك قول عائد الكلبي :

لَــهُ حَـقٌ ولَـيسَ عَـلـيـهِ حَـقٌ
فَمـهْمَـا قَالَ فالحَسَنُ الـجَمِـيـلُ
وقَدْ كَانَ الـرَّسُولُ يَـرى حُـقـوقًا
عَـلـيهِ لِـغـيـرِه وَهْـوَ الـرَّسـولُ [46]

الطباق :

لغةً : ((الطبق غطاء كل شيء، والجمع أَطْباق، الطِّباق مصدر طوبقَتْ طباقًا، وطَبَّقَ فلان إذا أصاب فصَّ الحديث. وطَبَّقَ السيفُ إذا وقع بين عظمين. والمُطَبَّقُ من الرجال: الذي يصيب الأُمور برأْيه))[47].

عرَّفه العسكري فقال: ((المطابقة في الكلام هو الجمع بين الشيء وضدّه في جزء من أجزاء الرسالة، أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد))[48]

---

(41) المفارقة القرآنية ، د . محمد العبد ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، 2003 ، ص23
(42) أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني، مطبعة النعمان، النجف الأشرف ، ط 1 ، 1969، ج 2 ص187
(43) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1963، ص11 .
(44) ينظر بناء المفارقة دراسة بلاغية تحليلية، شعر المتنبي إنموذجًا، رضا كامل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1 ، 2010 ، ص 9 – 10
(45) نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج 7، ص122
(46) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، ص 550
(47) لسان العرب ، ابن منظور، مادة طبق
(4) الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص 339

والناظر في مفهوم الطباق، يرى أنه من أكثر الفنون البديعية انتشارًا، وأنه أساس من أسس الصورة الشعرية وضرورة من ضروريات البناء السياقي، فهو ليس حلية بديعية فحسب ؛ بل إنه داخل في صميم المفارقة من ذلك ما نجده عند امرئ القيس[49]:

مِـكرٍّ مِـفَـرٍّ مُـقْـبـلٍ مُدْبـرٍ مـعًا

كجلمودِ صَخْـرٍ حطَّه السيلُ من علِ

لقد طابق الشاعر بين(مكر، ومف)،و(مقبل، ومدبر) بصورة مفارقية؛ وذلك لكي يرسم صورة لفرسه وهي صورة المطاردة، مبينًا مدى قدرتها على النزال، متكئًا على التضاد والتناقض لإبراز تلك الصورة .

فالطباق صبغة عامة في عالم المفارقة، وأحد أسسها المتينة نرى إلى حد كبير صورة الاتفاق التي تجمعهما وذلك من خلال وجود التضاد حتى يمكننا القول إن الطباق روح جسده المفارقة، فهو لا يكاد ينفصل عنها أو يفارقها.

هزل يراد به الجد :

يدخل هذا المصطلح في المفارقة وذلك؛ لأن بنيته تعتمد على ثنائية الدلالة، فهي تعتمد على المخالفة في الظاهر في حين تدل على الموافقة في العمق، عرّفه ابن حجة الحموي فقال: ((أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمه؛ فيخرج ذلك المقصود مخرج الهزل أو المجون اللائق بالحال))[50] جعله ابن المعتز بابًا من أبوابه، لكنه لم يعرّفه واكتفى بعرض نماذج شعرية[51] له، ومن أمثلته قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ردًا على عجوز؛ سألته عن دخول الجنة فقال عليه الصلاة والسلام: ((لا تدخلها عجوز))[52]، فقد كان الرسول الكريم يمازح هذه العجوز، ولكنه في نفس الوقت كان جادًا؛ فغضبت وبكت العجوز عند سماعها لذلك، ففسر لها الرسول الكريم قوله ذاك فاستبشرت وفرحت. وعلى هذا فقد قدم لنا الحبيب المصطفى، مفارقة تحمل دلالتين متناقضتين جمعت بين الفرح والحزن، الدلالة الأولى الظاهرة السطحية التي أبكت العجوز وحملتها على محمل الجِدّ، وهي بذلك وقعت في نطاق الضحية، أما الدلالة الثانية: فهي الدلالة الخفية العميقة ، التي تتطلب إعادة المعنى وهو أن كل عجوز في الدنيا ستعود شابَّةً في الآخرة ؛ حيث لا تدخل الجنة وهي عجوز، وإنما تدخلها في حالة أخرى وهي حالة الشباب.

الاستعارة :

لغةً : ((العور: ذهاب حس إحدى العينين، والعارية، والعارةُ: ما تداولُوه بينهم . مستعار بمعنى مُتعاوَر أي متداوَل))[53]

والاستعارة من المجاز((وهي من حلي الشعر ومحاسن الكلام بشرط أن تقع موقعها وتنزل منزلها))[54] .

أما ابن المعتز فعرَّفها بقوله : ((استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها))[55] ولا يخفى علينا ما للاستعارة من مكانة عند العرب، فقد حظيت بعناية النقاد والأدباء، فما من أديب أو كاتب إلا وتوَّجَ بها أدبه ونمّق بها إنتاجه، ومن أمثلة الاستعارة قول المتنبي يمدح سيف الدولة:

أُحـبُّـك يـاشمـسَ الـزمـن ونُـدره

وإن لامَـنِي فِـيـكَ السُّهـا والـفَـراقِـدُ[56]

المتنبي مدح سيف الدولة، بل بالغ في مدحه ، فقد برهن على مدى حبه وإخلاصه له وذلك حين شبهه بالشمس مرة وبالقمر مرة أخرى تصويرًا لعلو قدره، وسمو منزلته وعموم نفعه في كل الأوقات ، واستعار الشمس لسيف الدولة على سبيل الاستعارة ، كما استعار القمر لممدوحه مبالغة في تصوير محاسنه، والقرينة (أحبك)؛

---

[49] ديوان امرئ القيس، ص 19

[50] خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي، ص 65

[51] البديع ، ابن المعتز، شرح: إغناطيوس كراتشقوفسكي، مكتبة المتنبي، بغداد، ط2 ، 1979 ، ص 63

[52] الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية ، محمد بن عيسى الترميذي ، مكتبة نزار الباز ، الرياض ، 2003 ، ص 85

[53] لسان العرب، ابن منظور ، مادة (عور)

[54] العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، ج 1 ، ص 268

[55] البديع ، عبد الله بن المعتز ، ص 2

[56] ديوانه ، ص 321

لأنه يخاطب ممدوحه، والشمس والقمر جمادان، لا يتصور من عاقل أن يخاطبهما ويناديهما إلا على سبيل المجاز، كما هو واضحٌ في البيت .
في حين شبه الحّساد بالسها والفراقد وذلك في صغر حجمهم وخفاء صورتهم، وقد جاء ذلك في الشطر الثاني والقرينة (لامني)؛ لأن اللوم لا يُتصور من النجوم، فالأسلوب استعاري يرمز به الشاعر لحقارة اللائمين والأوغاد من جهة ، وإعلان حب الشاعر لممدوحيه من جهة أخرى، من جملة التناقض بين الشطرين تظهر المفارقة، فقد مدح سيف الدولة في الشطر الأول، في حين ذم الضعفاء الذين لا قيمة لهم في الشطر الثاني .
والاستعارة كثيرة في كلام العرب قديمًا وحديثًا، نذكر منها: كثير رماد القدر إذا كان كريمًا مضيافًا ، ضحكت الأرض من بكاء السماء: إذا سقطت المطر وأنبتت الأرض ،ويقولون : لقيت من فلان عرق القربة: أي شدة ومشقة. وهذا يشكل مفارقة على حد تعبير ميويك: ((المفارقة قول شيء دون قوله حقيقته))[57]
فالا ستعارة كغيرها من المصطلحات التي سبقت، تؤدي معناها بشكل ثنائي، أي أن تقول شيئًا وفي الوقت ذاته تقصد شيئًا آخر نهتدي إليه من خلال القرينة، ومن فضلها أنها ((أبلغ من الحقيقة، والعدول إليها أولى، لما تعطي من المعاني التي لا تحصل من لفظ الحقيقة))[58]

التعريض :

لغة ((خلاف التصريح، وعَرَضَ لفلان إذا قال فيه قولًا وهو يعيبه))[59]، والتعريض هو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجاز .
((ودلالة التعريض تعريضًا يفهم من عُرْضه : أي من جانبه ، وعُرض كل شيء جانبه ، والتعريض يختص باللفظ المركب ولا يأتي في اللفظ المفرد ألبتة، والدليل على ذلك أنه لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز، وإنما يفهم من جهة التلويح والإشارة))[60].
وعرَّفه السكاكي بقوله: ((ما سيق لأجل موصوف غير مذكور؛ كما تقول في عرض من يؤذي المؤمنين : المؤمن هو الذي يصلي ويزكي ولا يؤذي أخاه المسلم ، وتتوصل بذلك إلى نفي الإيمان عن المؤذي))[61] .
ومن التعريض الرائع المبدع قول نصر بن سيّار في شحذ عزائم بني أمية وحثهم لإدراك الثأر والانتقام من خصومهم العباسيين ، وقد بعث نصر بن سيار هذه الأبيات إلى هشام بن عبد الملك يحذره من خطر العباسيين على سبيل التعريض فقال :

أرى خللَ الرمادِ وميضَ جمرٍ
ويُوشكُ أنْ يكونَ لـه ضِرامُ
فإنَّ النارَ بالزندينِ تُورَي
وإن الحربَ أولُها كلامُ
أقولُ من التعجبِ : لَيتَ شِعري
أأيقاظٌ أُميةُ أم نيامُ ؟
فإن هبَّوا فَذاك بَقاءُ مُلكٍ
وإن رقدوا فَإنِّي لا أَنَامُ[62]

فالأبيات تعريض من الشاعر بخطر العباسيين على الأمويين ، فبوادر الشر الكامن في النفوس والنوايا الدفينة قد بدأت في الظهور، وإذا لم يوضع لها حد ستطغى وسيستفحلُ أمرها وتكون عواقبها وخيمة . وقد فهم الملك هذا المعنى من عرض الكلام بواسطة العلاقة والقرينة الدالة على هذا المفهوم .

---

[57] المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق ، خالد سليمان ، ص 17
[58] تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، ص 101
[59] لسان العرب مادة (عرض)
[60] المثل السائر لابن الأثير ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة الحلبي ، 1939 ، ج 2 ، ص 198
[61] مفتاح العلوم للسكاكي ، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،2000 ص 224
[62] ديوانه ، جمع وتحقيق عبد الله الخطيب ، نشر مطبعة شفيق ، بغداد ، ط 1 ، 2011 ص 46

وبعد.. فهذه جملة من المصطلحات العربية القديمة التي رأيتها شبيهة بالمفارقة وأكثر قُرْبًا منها ، وأن المفارقة قد احتضنتها جميعها ، وكما أشرنا سابقًا أنه لا يوجد من بينها ما يماثل مفهوم اللفظة ولكنها مجتمعة يمكن أن تمثل جزءًا كبيرًا منها ،وعليه فإن ميراثنا العربي لم يكن خاليًا من المفاهيم التي تقترب من المفارقة رغم بُعد الفترة الزمنية بينهما .

ولا يمكن أن ننكر أن مصطلح المفارقة غربي، لكن أصوله عربية، والدليل ما مرَّبنا من مصطلحات ونماذج كانت شواهد حية على المفارقة

ثانيًا : المفارقة في العصر الحديث :

ظلّ الأدبُ الحيُّ قاطبةً وبمختلف أجناسه من شعرٍ وروايةٍ وقصةٍ وحكمٍ وأمثالٍ، يعبر عن قضايا الإنسان المختلفة، يرفض السلب ويقبل الإيجاب ، دامجًا رفضه بعلو صوته، فكان مرآةً صادقةً لواقع البيئة التي يعبر عنها، ((على ألا تطغى الوظيفة التواصلية على الوظيفة الشعرية والجمالية فيه؛لأن طغيانها يعني القضاء على روح الشعر))[63]، فالموهبة الفنية الفذّة تأخذ على عاتقها في عملية الإبداع الأدبي صهر تلك القضايا لتذوب في قالب شعريٍّ رصين، تتألق وتسبح في آفاقٍ رحبة حتى تنسجم مع البيئة التي تناولتها، وقد ظلّ الأدب في تحقيق مرماه يسلك طرائق غير مباشرة في مراوغة اللغة وتشكيلها بطريقة جديدة، ولعل المفارقة إحدى هذه الطرائق والوسائل التي تساعد على إظهار المفاسد السائدة في البيئة .

وتعد اللغة خير دليل على أخلاق البيئة ، ومرآة لمشكلاتها ، وسائر أحوالها ، وقد وجدت المفارقة في لغة الأدب بنوعيه منذ القدم ، لكن تعريفها وترسيم أبعادها وبيان حدودها وطريقة تشكّلها لم يتم إلا في العصر الحديث ، على أن اللفظ لم يسجل له حضورٌ لفظيٌ في ميراثنا القديم وإنما حضر تحت أسماء أخرى كالتورية والتعريض والتهكم ـ وردت في مختلف كتب الأدب البلاغية والنقدية ـ وغيرها من المصطلحات التي ذكرناها سابقًا، وقد أشرنا سلفًا أن المفارقة مصطلح غربي وإن كانت أصوله عربية، وأنه دخل إلينا عن طريق الترجمة عندما ترجم عبد الواحد لؤلؤة كتابي دي سي ميويك (المفارقة)، و(المفارقة وصفاتها)، ثم كتبت نبيلة إبراهيم مقالًا عنه بعنوان المفارقة ، إضافة إلى ما كتبته سيزا قاسم في مقالها(المفارقة في القص العربي المعاصر).

هذا عن بدايات المفارقة في أدبنا العربي الحديث، ثم اتسعت الرقعة لتصل بنا إلى دراسات كثيرة وعديدة حول هذا المصطلح في الأدب بنوعيه الشعر والنثر. وحول هذا المصطلح ـ المفارقة ـ كثرت التعريفات في أدبنا العربي الحديث شأنها شأن الأدب الغربي، فنجدها عند محمد العبد :

((أداة أسلوبية فعالة للتهكم والاستهزاء))[64]

وعند علي عشري زايد: هي ((تكنيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض)) [65]

وهي عند نبيلة إبراهيم ((رفض للمعنى الحرفي للكلام ،أو ـ بالأحرى ـ المعنى الضد الذي لم يعبر عنه))[66]، ونجدها عند سيزا قاسم: ((طريقة لخداع الرقابة؛ حيث إنها شكل من الأشكال البلاغية التي تشبه الاستعارة في ثنائية الدلالة))[67] .

إن تعريف سيزا قاسم لها، وبهذه الصورة يجعلها في نطاق ضيق ، وهي كما أشرنا أوسع من ذلك ((سلسلة لا تنتهي من التفسيرات))[68] وهي ((استراتيجية قول نقدي ساخر، وهي في الواقع تعبير عن موقف عدواني، ولكنه تعبير غير مباشر يقوم على التورية))[69] أما أمينة رشيد فعرّفتها بأنها : ((نظرة إلى العالم وموقف من

---

[63] المفارقة في أدب الصادق النيهوم القصصي ، سالم مسعود علي العربي ، رسالة ماجستير ، جامعة سبها ، 2009 ، ص 35

[64] المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، د محمد العبد، ص 18

[65] عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د. علي عشري زايد، مكتبة دار العروبة، الكويت، د ت، ص 147

[66] المفارقة، د. نبيلة إبراهيم، مجلة فصول،ع3، 1987، ص 123

[67] المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، مجلة فصول، مج 2، ع2 (فبراير، مارس) 1982، ص 106

[68] دي سي ميويك، ص 220

[69] نفسه ص 106

حقيقة الأشياء))[70] وسعيد علوش يعرَّفها بأنها:((تناقض ظاهرى، لا يلبث أن تتبين حقيقته. وهي إثبات لقول يتناقض مع الرأي الشائع في موضوع ما، بالا ستناد إلى اعتبار خفي، الرأي العام))[71] ويرى سمير حجازي أنها : ((مفهوم يستخدمه الناقد للإشارة إلى التعبير عن موقف ما على غير ما يستلزمه ذلك الموقف ، أو حدوث مالا يتوقع))[72]

وهي عند نوّاف نصّار((عبارة تبدو منافيةً للعقل، ومع ذلك قد تكون صحيحة))[73]، وهي ((عبارة تحمل تناقضًا ظاهريًا، ولكن بعد التدقيق نجدها تتضمن حقيقة توثق بين التناقضات فيها))[74] وهي ((حدوث ما لا يتوقع ، فقد ألفنا أن نسمع بنبأ سطو على مصرف، وأن الساطي قد أنفق المال في لذائذه ومباذِله، ولكننا لا نتوقع ـ وهذه المفارقة ـ أن يتبرع الساطي بالمال إلى جماعة من جماعات البر ، أو أن يدفع به عوز امرأة قدمات زوجها وقعدت إلى أولادها))[75] .

ولا يختلف عبد القادر الرباعى عن غيره حينما قال عن المفارقه: إنها ((أسلوب مثير لأنه ؛ في أخص خصائصه ناتج عن تقاطع داخل النفس بين ما يتوقع وما يحدث واقعًا ، وهي حيلة بلاغية يستخدمها الكُتّاب للتعبير عن معنى يتضاد مع معنى آخر مستقر في الذهن))[76].

فالتعريف كما يبدو غامضًا، لكن الكاتب أراد من تعريفه أن المفارقة تخرج بألفاظها من دلالتها الحقيقية، وتعطي نواتج مغايرة لما هي عليه من المعنى الحقيقي لها، وهو ما يعرف بازدواجية المعنى، وقد عرف بعضهم المفارقة من خلال الحديث عن الفرق بين معناها المعجمي والمجازي، وهو ما يمثل ثناية الدلالة للكلمة، من ذلك ما نجده في قول تمام حسان: ((ومرجع الحاجة إلى إنشاء هذه العلاقة البيانية فيما بين الكلمة المفردة ومدلولها المجازي ما يكون من مفارقة معجمية بين عنصرين من عناصر الجملة تجعل ورود أحدهما مع الآخر مصدر مفاجأة غير متوقعة، ومن ثم تجعله مؤشرًا أسلوبيًا))[77]

وقد علق رضا كامل على تعريف تمام حسان قائلًا: ((فهو ينظر إلى العلاقة المعجمية على أنها مناسبة الكلمة للسياق الذي ترد فيه ، تتضافر مع غيرها من بقية عناصر الجملة، فتؤدي معنىً مفيدًا، وعدم وجود هذه المناسبة هو الذي يؤدي إلى تولد المفارقة))[78]

وقد شاع هذا المصطلحُ في المعاجم الحديثة، فقد حدد بعضهم المفارقة بقوله ((ما يضاد الرأي الشائع وقد يستعمل للزراية، أي عكس المتوقع)) [79] وعرَّفها معجم آخر((الرأي الغريب الذي لا يعتقده صاحبه ، ولكنه يدافع عنه أمام الناس لحملهم على الإعجاب به))[80] وهي: ((ما هو مخالف للرأي العام، أو ما هو مأخوذ على أنه حقيقة دون اقتناع، ولكن للاستماع أو لإحداث دهشة عند الآخرين))[81]

والمفارقة ((أسلوب بلاغيّ يقوم على التضاد، يبرز فيه المعنى الخفي في تضاد ملموس مع المعنى الظاهري، معتمدًا على المفارقة اللفظية أو مفارقة الموقف أو السياق، وهو أمر يحتاج إلى مجهود لغوي، وكدٍّ ذهني، وتأمل عميق للوصول إلى التعارض، وكشف دلالاته بين المعنى الظاهر والمعنى الخفي الذي يتضمنه النص وفضاء اته البعيدة))[82]

---

(70) المفارقة الروائية والزمن التاريخي ، د. أمينة رشيد، مجلة فصول، المجلد الحادي عشر، العدد الرابع، 1993، ص 28

(71) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1985، ص 126

(72) المتقن معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، سمير حجازي، دار الراتب الجامعية، بيروت، 2005، ص 155

(73) المعجم الأدبي، نواف نصار، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2007، ص 197

(74) نفسه، ص 197

(75) في النقد الحديث ، نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، 1979 ، ص 61 – 62

(76) صور من المفارقة في شعر عرار ، عبد القادر الرباعي ،من كتاب بحوث عربية مهداة إلى د. محمود السمرائى ، تحرير حسين عطوان ومحمد إبراهيم ، نشر دار المناهد، عمان،1996 ،ص 293

(77) المصطلح البلاغي ، تمام حسان ، مجلة فصول ، مجلد 7 ، العدد 3 – 4 (إبريل – سبتمبر) ، 1978 ، ص 31

(78) بناء المفارقة دارسة بلاغية تحليلية ، شعر المتنبي إنموذجًا ، رضا كامل ، ص 9

(79) المعجم الفلسفي ، مراد وهبة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع مصر ، د . ت ، ص 656

(80) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية ، جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، د . ت . ج 2 ، ص 402

(81) الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي ، كميل الحاج، مكتبة لبنان بيروت ، ط 1 ، 2000 ، ص 570

(82) المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية والتراث العربي القديم دراسة تطبيقية، د. نعمان عبد السميع متولي ، ص 14

وعرفها عبد الهادي خضير في بحثه الموسوم بالمفارقة في شعر المتنبي على أنها: ((تعبير لغوي بأسلوب بليغ؛ بهدف استثارة القارئ وتحفيز ذهنه لتجاوز المعنى الظاهري المتناقض للعبارة، والوصول إلى المعاني الخفية التي هي مرام الشاعر الحقيقي))[83]

وهذا التعريف تناول جانبًا مهمًّا من جوانب المفارقة، وهو موقف القارئ منها، حيث رفضه للمعنى الظاهر ووقوعه في هوة القلق حينما لا يصل إلى المعنى الحقيقي، إثر ذلك تتحقق المفارقة ، وكيف أن المفارقة تثيره وتحفزه لاكتشاف المعنى المقصود .

((ومن الجدير بالذكر أن النظرة للمفارقة قد تعمَّقت وتغلغلت بتقدم الدراسات النقدية الحديثة التي أولت المتلقي اهتمامًا كبيرًا فمن المعالجات النقدية والأسلوبية والألسنية والشعرية ونقد استجابة القارئ ونظرية التلقي والاتصال وجدت المفارقة مكانًا رحبًا لها تحت مسميات مختلفة، كما للمفاجأة والتوقع والانتظار الخائب أو المحيط والفجوة أو الفراغ والصدمة ومسافة التوتر وأفق التوقع وغيرها)) [84]

بينما يعرَّفها سعيد شوقي : ((بناء المفارقة يتمثل في الإدراك الواعي لطريقة من طرق الأداء تنهض على الخداع، وتعتمد وجود الازدواج والتنافر في حيزها))[85]

نجد في هذا التعريف أن سعيد شوقي يتحدث عن إدراك المتلقي للنص المفارقي، وعن الكاتب الذي يكون واعيا بخفاياه بحيث يكون قادرا على المراوغة والخداع للنص، وعليه يمكننا القول إنَّ تعريفات العرب للمفارقة قد أتكأت على الدراسات الغربية ؛ ذلك لأن الغربيين هم أوّل من سطع لديهم هذا المفهوم من خلال دراساتهم ورسائلهم النقدية والعلمية كما أننا نلاحظ على التعريفات التي سبقت أنها قد اتفقت على الآتي :

1 ـ عنصر الخفاء أي المعنى الباطن الكامن داخل النص .
2 ـ أن هذا المعنى الباطن هو الذي أراد الكاتب ان يعبّر عنه وهو المقصود والهدف.
3 ـ الاختلاف بين المعنى الباطن، والمعنى الظاهر .
4 ـ قول شيء دون قصد حقيقته .
5 ـ رفض المعنى الحرفيّ لصالح المعنى الخفيّ .
6 ـ إدراك التنافر بين المتناقضات.
7 ـ ثنائية المعنى القائمة على الضدية .

ومن أمثلة المفارقة في العصر الحديث قول إبراهيم طوقان، مخاطبًا الانتداب البريطاني على فلسطين يقول ساخرًا منه:

قَدْ شَهدنَا لِعهْدكُم بِالعَدالةِ
وخَتَمنَا لِجُندكُم بِالبَسالَةِ
وعَرفْنَا بِكُم صَديّقًا وَفِيًا
كَيفَ نَنْسَى انْتِدابَه واحْتِلَالَه
وَخَجلْنَا مِن لُطْفِكم يَومَ قُلتُم
(وَعدَ بِلْفُور) نَافِذ لَا مَحَالَة
كُلُّ أفْضَالِكُم عَلَى الرَّأسِ
والعَينِ ولَيسَتْ فِي حَاجةٍ لِدِلالَة
وَلَئَن سَاءَ حَالُنَا فَكَفَانَا
أَنَّكُم عِندَنا بِأحسَنِ حَالَة[86]

---

[83] المفارقة في شعر المتنبي، د. عبد الهادي خضير ، مجلة لغة الضاد ، المجمع العلمي العراقي ، 1999 ، ج2 ص 162
[84] المفارقة الشعرية ، المتنبي إنموذجًا، سناء هادي عباس، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، 2004 ، ص 11
[85] بناء المفارقه في المسرحيه الشعريه ، د. سعيد شوقي، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة ، 2001 ، ص 79
[86] ديوان إبراهيم طوقان، دار المسيرة، بيروت، 1984 ، ص82 .

وأمثلة هذا النوع كثيرة ومتنوعة تعج بها كتب الأدب والنقد الحديث، فالناظر لهذه الأبيات لايمكن أن يأخذ الكلام على قيمته السطحية، ولا يمكن أن يقبل بالمعنى الظاهر للنص، لما عُرِف عن أخلاق العدو المغتصب، فقد أراد الشاعر من هذه المقطوعة عكس ما قاله، فالمغتصب ظالم وخسيس وخائن، الشاعر يستفهم بـ(كيف)عن نسيان هذه الصفات؛ إذ إن السلبيات لايمكن للمرء نسيانها، وذلك لشدة وقعها وقوة تأثيرها على متلقيها، ويستمر الشاعر في هذه المعاني التي مزجها بروح السخرية والاستهزاء جاعلًا معانيها تدور حول المدح الذي هو في معرض الذم إلى آخر النص.

ـ الخاتمة ونتائج البحث ـ

حظيت ظاهرة المفارقة باهتمام العديد من الباحثين والدارسين ولاسيما الغربيون منهم، وقد ظهر اهتمامهم هذا من خلال كثرة دراساتهم عنها .

أما الباحثون العرب فلم يلتفوا إليها إلا في الثمانينيات من القرن الماضي، وهذه الدراسات محدودة بعض الشيء إذا ما قُورنت بالدراسات الغربية.
وقد رأى كثيرٌ من الباحثين العرب أن نقادنا العرب القدامى لم يعرفوا مصطلح المفارقة، لكننا نجد مجموعة من الأساليب البلاغية التي تحمل دلالة هذا المصطلح وتؤدي بعض معانيه.
وقد خلصت الدراسة إلى أن مفهوم المفارقة قديم قدم البشرية، وأن وجوده لم يقتصر على زمن دون غيره أو عصر أو مكان، وإنما اجتاح العصور والأمكنة كافة، وأن أوّل استعمال له كان في الحقل الفلسفي، يلي ذلك الحقل النقدي والبلاغي، وأن مفهومه الحالي حديث، وقد اتسع هذا المفهوم ضمن هذه الحقول، لذلك صعب وضع تعريف جامع مانع فهذا المصطلح قديم حديث؛ إذ أن مصطلح المفارقة لم يكن له وجود في الكتب النقدية القديمة كلفظ، لكن مضمونه وما يثيره من جدال أمر نلتمسه ونلاحظه في نتاج أدبائنا، وقد تنبه له القدماء وإنْ اختلفت التسمية .
أن مفهوم المفارقة مفهوم غني؛ وأن التعبير به يقوم على أبواب عدة؛ فالتورية مفارقة، والمدح الذي يراد به الذم مفارقة، والاستعارة مفارقة، والتعريض مفارقة ...إلى غير ذلك .
مفهوم المفارقة مفهوم عقلي يرفض المعنى الظاهر ويقبل المعنى الباطن الذي هو المعنى المراد، الذي يهدف إليه صاحب النص .
التناقض بين المستوى العميق والمستوى الظاهر أساس الوصول إلى فهم المفارقة .
خلا التراث العربي من مصطلح المفارقة كلفظ، لكنه لم يخلُ كمفهوم، والأدلة على ذلك كثيرة، فصور المفارقة بأنواعها المختلفة في البلاغة العربية كثيرة ومتعددة، خاصة في علميّ البيان والبديع .
أن مفهوم المفارقة غربي لكن أصوله عربية، والدليل ما وجدناه من مصطلحات تماثل إلى حد كبير دلالة المصطلح.
كثرة استعمال الأدباء والنقاد لهذا المفهوم وذلك في العصرين القديم والحديث، ذلك أنه يعطي الكثير من المعاني في اللفظ القليل. وإنى لآمل أن أكون قد وُفقتُ في هذا البحث المتواضع، وأضفت خطوة سديدة على طريق الدراسة، وأن يكون جهدى إسهامًا مضافًا إلى الساحة الأدبية والنقدية، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب .

المصادر والمراجع

أوّلًا : القرآن الكريم

ثانيًا : المصادر والمراجع.

ـ الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة
محمد علي الجرجاني ، تحقيق : عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، د . ت .
ـ أنوار الربيع في أنواع البديع
السيد على صدر الدين بن معصوم المدني ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ط1 ، 1969 .
ـ البديع
عبدالله بن المعتز ، تحقيق: إغناطيوس كراتشقوفسكي ، مكتبة المتنبي ، بغداد ، ط2 ، 1979 .
ـ البرهان في علوم القرآن
الزركشي ، تحقيق : يوسف عبد الرحمن وآخرين ، دار المعرفة ، بيروت ، ط2 ، 1994 .
ـ بناء المفارقة دراسة بلاغية تحليلية ، شعر المتنبي إنموذجًا
رضا كامل ، مكتبة آداب ، القاهرة ، ط1 ، 2010 .
ـ بناء المفارقة في المسرحية الشعرية
د . سعيد شوقي ، ايتراك للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2001 .
ـ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن
ابن أبي الإصبع المصري ، تحقيق : حنفي محمد شرف،يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، القاهرة ، 1983
ـ خزانة الأدب ونهاية الأرب
ابن حجة الحموي ، دار القاموس الحديث ، بيروت ، د . ت
ـ ديوان إبراهيم طوقان، دار المسيرة، بيروت، 1984
ـ ديوان زهير أبى سلمى
أحمد بن يحي ثعلب ، دار الكتب والوثائق القومية القاهرة ، ط 3 ، 2003 .
ـ ديوان قيس بن الملوح
دراسة وتعليق يسرى عبدالغني ، منشورات محمد بن علي بيضون ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان.
ـ ديوان امرئ القيس
، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، ط 5 ، 2004 .
ـ ديوان عمر أبي ربيعة
قدم له ضبطه وشرحه : د . فايز محمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2 ، 1996 .
ـ ديوان النابغة الذبياني
شرح : عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط3 ، 1996 .
ـ ديوان النابغة الذبياني
تحقيق : كرم البستاني ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1963 .
ـ ديوان نصر بن سيّار
جمع وتحقيق : عبد الله الخطيب ، نشر مطبعة شفيق ، بغداد ، ط1 ، 2011 .
ـ الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية
محمد بن عيسى الترميذي ، مكتبة نزار الباز ، الرياض ، 2003 .
ـ الصناعتين (الكتابة والشعر)
أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 1984 .

ـ صور من المفارقة في شعرعرار
عبد القادر الرباعي ، من كتاب بحوث عربية مهداه إلى د . محمود السمرة ، تحرير حسين عطوان ومحمد إبراهيم حور ، نشر دار المناهد ، عمان ، 1996 .
ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده
الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجبل ، بيروت ، ط 5 ، 1981.
ـ عن بناء القصيدة العربية الحديثة
د . علي عشري زايد ، مكتبة العروبة ، الكويت ، د . ت
ـ في النقد الحديث
نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، 1979 .
ـ المفارقة وصفاتها، (موسوعة المصطلح النقدي)، دي سي ميويك، ترجمة: د.عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، العراق، ط2 ،1987 .
ـ المفارقة والأدب، دراسات في النظرية والتطبيق
خالد سليمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1999.
ـ الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، كميل الحاج، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 2000 .
ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر
لابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة الحلبي، 1939
ـ المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة
د . محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة، مصر، 2013 .
ـ مفتاح العلوم
أبي يعقوب يوسف بن محمد علي السكاكي ، تحقيق : د . عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط 1 ، 2000 .
ـ نقد الشعر
قدامة بن جعفر ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط 3 ، 1978 .
ـ نهاية الأرب في فنون الأدب
شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، المؤسسة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

ثالثًا : الرسائل العلمية

ـ المفارقة الشعرية المتنبي إنموذجًا
سناء هادي عباس ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، 2004 .
ـ المفارقة في أدب الصادق النيهوم القصصي ،سالم مسعود علي ، رسالة ماجستير، جامعة سبها ،2009 .

رابعًا : المعاجم والقواميس اللغوية

ـ لسان العرب
لابن منظور ، تحقيق : عبد الله الكبير وآخرين دار المعارف، 1979.
ـ المتقن معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، سمير حجازي، دار الراتب الجامعية، بيروت، 2005 .
ـ المعجم الفلسفي
مراد وهبة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ، د . ت
ـ المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية
جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، لبنان، د .ت .
ـ المعجم الأدبي
نواف نصار، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007.
ـ معجم مصطلحات الأدب (إنكليزي ـ فرنسي ـ عربي)، مكتبة لبنان

ناشرون، 1974.
ـ معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة
سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985.

خامسًا : الدوريات
ـ المصطلح البلاغي
تمام حسان ، مجلة فصول ، مج 7 ، ع3 ـ 4 (إبريل ـ سبتمبر) ، 1978 .
ـ المفارقة
نبيلة إبراهيم مجلة فصول ، العدد 3 ، 1987 .
ـ المفارقة في كافوريات المتنبي ، قراءة في نصوص مختارة
أمل نصير مجلة أبحاث اليرموك (سلسة الأدب واللغويات) ، المجلد 15 ، العدد 2 ، جامعة اليرموك ، الأردن ، 1997 .
ـ المفارقة في القص العربي المعاصر
سيزا قاسم ، مجلة فصول ، مج2 ، ع2 ، (فبراير ، مارس) 1982 .
ـ المفارقة الروائية والزمن التاريخي
د . أمينة رشيد ، مجلة فصول ، المجلد الحادي عشر ، العدد الرابع ، 1993 .
ـ المفارقة في شعر المتنبي
د . عبد الهادي خضير ، مجلة لغة الضاد ، المجمع العلمي العراقي ، 1999 .
ـ مفهوم المفارقة في النقد الغربي
نجاة علي ، مجلة فصول ، العدد الثالث والخمسون ، 2009 .

المصادر الأجنبية

-A.R. Thompson,The Dry mock ,A study of Irony In drama, Berkeiy,1948.
-Fowler, H, ADictioary oF Modern English Usage , Oxford ,1962.
-Marik Finlay; The Romantic lrony oF semiotics , Mouton do Gruyter, Berlin and newy0rk 1988.
-D.J.Enright; The Alluring problem, Oxford University press , 1986.
-D . C Mueck ; the compass of Irony ,Methuen, London and New York, 1980.

ملخص

إن دراسة المفارقة في الشعر تُعد من الدراسات النقدية والبلاغية الجديدة التي تتعامل مع النص لكشف خفاياه و أسراره ،أضف إلى ذلك أنها من الدراسات الحديثة وآلية من آليات تحليل النص الأدبي،إذ تعتمد على الدراسة العميقة للنص،وتقليبه و بيان مستوياته للوصول إلى عمق المعنى الذي أراده الكاتب.

تناول هذا البحث المفارقة في التراث النقدي، وقد تم تقسيمه إلى قسمين القسم الأوّل: وقد درست فيه المفارقة في التراث الغربي وقد تبين أن هذا المصطلح غربيٌ؛لكن أصوله عربية ؛ وأن أول ظهور له كان في الحقل الفلسفي ويعد سقراط صانع المفارقة الأوّل الذي يذكره لنا التاريخ ، حيث كان يدّعي الجهل بما يسأل عنه، وبما يحاوره حتى يترك الشخص خاوي الوفاض .

ثم انتقلت هذه الظاهرة إلى الحقل النقدي، واتجهت جهود النقاد نحوها، وكان من نتيجة هذه الجهود أن قدموا لها تعريفات كثيرة يصعب حصرها.

وهذه الظاهرة لم تقتصر على الفلاسفة والنقاد فحسب، وإنما تجاوزتها إلى البلاغيين، فقد نظر إليها على أنها أسلوب من أساليب البلاغة.

والحقيقة أن هذا المصطلح سبب جدلًا واسعًا في الغرب فهو مصطلح غامض ويثير الالتباس، نتيجة تاريخه الطويل والمتشعب لذلك اعتنى به النقد الغربي عناية كبيرة ،وكان من نتيجة هذه العناية والاهتمام تحول جذري في دلالة المصطلح، فلم تعد المفارقة مجرد وسيلة للتعبير عن شي معين، وإنما منهجًا يحمل كل مواصفات المنهجية العلمية، كما أصبحت له مكانة متميزة بين المناهج الأخرى بل ويفوقها، ذلك أن جذوره موغلة في القدم، أضف إلى ذلك نجاحه في إيصال هدف الكاتب بطريقة لا تستطيع المباشرة ايصالها .

أما القسم الثاني من البحث فجاء فيه الحديث عن المفارقة في الثراث العربي وقد قُسم إلى قسمين : الأوّل المفارقة في التراث النقدي القديم ، والثاني المفارقة في العصر الحديث، ففي القسم الأوّل جاء الحديث عن المصطلحات العربية القديمة التي تحمل دلالة المفارقة وهي تجاهل العارف،و الكناية،والتورية،والتهكم،والمدح بما يشبه الدم، والذم بما يشبه المدح، والطباق، وهزل يراد به جد، والاستعارة والتعريض، وقد اتضح لنا أن هذه المصلحات تمثل كل واحدة منها على حده معنى من معاني المفارقة، غير أن المفارقة أوسع وأرحب من أن تقتصر على لفظٍ معينٍ منها.

وأن هذه المصطلحات شبهية بالمفارقة وأكثر قربًا منها وأنه لايوجد من بينها ما يحمل كامل دلالة المصطلح ولكنها مجتمعة يمكن أن تمثل جزءً كبيرًا من المفارقة وعليه فإن ميراثنا العربي لم يكن خاليًا من المفاهيم التي تقترب من المفارقة رغم بُعد الفترة الزمنية بينهما، ويمكننا القول إن هناك أشياء موجودة في أدبنا العربي وبها حاجة إلى دراسة لاكتشافها وبروزها على الساحة الأدبية.ولايمكن أن ننكر أن المصطلح غربي لكن أصوله عربية والدليل ما وجدناه من مصطلحات في تراثنا العربي القديم،كانت ومازالت نماذج حية على المفارقة ،فلو أتينا لكل مصطلح منها لوجدناه يمثل جزءً من المفارقة ،فأنت تسأل عن شيء وأنت تدّعي أنك تجهله مفارقة،وأن تأتي بلفظ البشارة في موضع الإنذار مفارقة،وبالوعد في مكان الوعيد مفارقة،وتذكرلفظين لهما معنى قريب والآخربعيد مفارقة،وأن تمدح لتهجو وتهجو لتمدح مفارقة،وأن تأتي باللفظ وضده والهزل لتقصد الجد،وأن ترمزبلفظ لتقصد به شيئًا آخر،وأن تستعير لفظة وتضعها في غير موضعها فكل ذلك مفارقات،غير أن المفارقة أوسع من أن تقتصر على مفهومٍ منها.

أما في العصر الحديث فالحال لا يختلف كثيرًا من تقارب التعريف عن مثله عند الغرب فنجد أن نقادنا العرب في العصر الحديث كثرت تعريفاتهم لها، وقد تراوحت هذه التعريفات بين الغموض والتبسيط، كما أن هذه الظاهرة نجدها بكثرة في نتاج أدبائنا وشعرائنا، وذلك لما تؤديه من وظائف قيمةٍ وأهدافٍ ساميةٍ .وقد ظلت الدراسات في النقد العربي الحديث محدودةً بعض الشيء ،فلم نجد إلا بعض المؤلفات ،والتي تنوعت بين الكتب والمقالات،ثم اتسعت الرقعة لتصل بنا إلى آفاق أرحب وأسع في هذا المجال،شأنها في ذلك شأن الأدب الغربي.وعليه يمكننا القول ان تعريفات العرب للمفارقة قد أتّكأت على التعريفات الغربية،ذلك ان الغربيين هم أوّل من سطع عندهم هذا المفهوم من خلال دراساتهم وبحوثهم العلمية،وقد اتفقت هذه الدراسات على الآتي: ـ عنصر الخفاء،أي المعنى الباطن داخل النص.

ـ أن المعنى الباطن هو الذي أراد الكاتب أن يعبر عنه.

ـ الاختلاف بين المعنى الباطن والمعنى الظاهر.

ـ قول شيء دون قصد حقيقته.

ـ رفض المعنى الحرفيّ لصالح المعنى الخفيّ.

ـ التنافر بين المستويين .

ـ ثنائية المعنى القائمة عل الضدية.